وتكسب مصر ورقة جديدة!

د. بطرس غالى
الرأى العام .. صانع القرار الخفى

ابراهيم صالح

المسرح السياسى الدولى يتعرض فى الفترة الأخيرة لتغيرات كثيرة . تغيرات تشمل الديكور والملابس والأشخاص وتوزيع الأدوار . ريجان يكتسح انتخابات الرئاسة الأمريكية . أزمة الرهائن الأمريكيين فى إيران . الاحتلال السوفيتى السافر لأفغانستان . الحرب الشخصية بين العراق وإيران . فورة حرية بين عمال بولندا ترفض التبعية للحزب الشيوعى وبالتالى للاتحاد السوفيتى . أصابع تدعى الفن وتمسك بفرشاة تحاول بها تغيير «لون» أفريقيا . «جحا» جديد فى السياسة الدولية يحاول أن يدق له مسمارا فى كل بيت يعطيه حق التسلل فى أى وقت تحت ستار شرط قانونى فى «تعاقد» ! ! بيجين يواجه من شعبه أزمة عدم ثقة تنقذه منها ثلاثة أصوات .. فقط ! !

وتصور بعض المتفرجين . أن هذه التغيرات تشمل «دور» مصر . وتصيبه بشلل يقربها من «الكوماريس» . وإذا بمصر تذهب إلى مؤتمر الدولية الاشتراكية . فيصدر بيان عن رئيسها ومالئيه ومثل مصر د. غالى . وبنباه المؤتمر كله . يؤيد مصر فى كل خطواتها . بل . يطلب من الآخرين السير فى نفس الطريق

وتفرح قلوب مخلصة . وتصاب قلوب حاقدة بخيبة أمل تقارب من اليأس . وأكاد أراهم ينظرون إلى الدبلوماسية المصرية التى تصوروها قد افلست - كما لو كانوا ينظرون إلى «فطيرة الناظر حسن» التى أكل منها جيش بأكمله . وكلما قطعوا منها عادت «صحيحة» كما كانت . أو «كيس» النقود المسحور الذى كلما أنفق منه الأمير عاد يتملأ مرة أخرى . وأكاد أرى الذهول على وجه أطفال السياسة الدولية كما أراه على وجه أطفالى وهم يستمعون إلى قصتى «فطيرة الناظر حسن» .. و«الكيس المسحور» ! !

ومهما كان اقتناعنا بسياستنا المصرية . فإن هذا لا يمنع أن نطلب المزيد من الإيضاح والمعلومات عن كل خطوة من خطواتها . على الأقل لنشبع رغبتنا فى الزهو والفخر بها . مثلا . ماهى قصة الورقة الجديدة التى كسبتها مصر فى مؤتمر الدولية الاشتراكية ؟ ما الجديد الذى تأتى به ؟ . وماذا نعنى ؟ .. ماالذى تضيفه إلى الموقف المصرى ؟ .. مارأى هذا التجمع الدولى فيما يجرى على مسرح السياسة الدولية ؟ ماالذى يمكن أن نكسبه من التعاون مع تجمعات دولية تمثل هيئات شعبية وليست حكومات رسمية ؟ ..

□ □ □

وهكذا وجدت نفسى - بعد طول غياب - أمام الدكتور بطرس غالى وزير الدولة للشئون الخارجية .. ووجدتنى أقول :

□ لقد اشتاقت صفحات «أكتوبر» إلى كلماتك .

- (ضاحكا) هل هو عتاب ؟ !

□ عفوا . ربما كان أقرب إلى العتم الا تطول غيبتك عنا . فتراكم أمور كثيرة تحتاج إلى إيضاح .

- هل أفهم من هذا أن أسئلتك كثيرة ؟

□ ولا أتنازل عن واحد منها .

- إذن .. فمن أين نبدأ ؟

□ من مدريد .. حيث عقد مؤتمر الدولية الاشتراكية . وصدر البيان الرباعى الذى تبناه المؤتمر كله . لتأييد مصر . ماالذى تراه فيه من مبادئ وأفكار جديدة ؟

- يكفى أن هذا البيان أكد مساندة الدولية الاشتراكية لمبادرة الرئيس السادات الشجاعة . وبالتالى اتفاقيات كامب دافيد . وكافة جهود السلام المصرية . ثم مطالبتها الدول العربية - استطرادا من مبادرة الرئيس السادات - بالدخول فورا فى المفاوضات للتوصل إلى حل عاجل لمشكلة الشرق الأوسط على أساس قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ . وبذلك تكون الدولية الاشتراكية قد تبنت مبادئ كامب دافيد الأساسية . وهى :

١ - حل القضية الفلسطينية بكافة جوانبها .

٢ - ضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

٣ - ضرورة حل المشكلة على أساس قرارى مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ .

٤ - مطالبة باقى الدول العربية بأن تحذو حذو مصر . وأن تبدأ المفاوضات مع إسرائيل .

٥ - ضرورة قيام الحكومة الإسرائيلية بإجراءات بناء الثقة مع الشعب الفلسطينى فى قطاع غزة والضفة الغربية كخطوة أولى فى تطبيع العلاقات بين الفلسطينيين والإسرائيليين .

□ نسأل حول نقطة قد نفهمها نحن . ولكن غيرنا قد يحتاج إلى إيضاح . لماذا لم يرد ذكر منظمة التحرير الفلسطينية فى هذا البيان ؟

- لقد اتفقنا على أن الإشارة إلى الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى تعطى كافة المطالب الفلسطينية . كما أن مبادئ ومفاهيم كامب دافيد التى ساندتها الدولية الاشتراكية تضمن للشعب الفلسطينى اختيار ممثلين فى أية مفاوضات قادمة .

□ ماهى القيمة السياسية لهذا البيان وماالذى يضيفه إلى موقف مصر من دعم على المستوى الدولى ؟

- يضيف كثيرا لا يستهان به لمن يدقق النظر :

١ - هو تأييد من مجموعة دولية - وإن كانت هيئات غير رسمية - معتدلة فى اشتراكيتها وفى مواقفها . وعلى علاقة طيبة بمجموعات دولية أخرى . فبعض دوله أعضاء فى المجموعة الأوربية . أو مجموعة عدم الانحياز . أو غيرهما . فهم يحملون معهم نواة لمزيد من الفهم والتأييد لمصر فى المجموعات الدولية الأخرى .

٢ - لاحظت خلال اتصالاتنا - كوفد للحزب الوطنى الديمقراطى - تقدير الدولية الاشتراكية لجهود الدبلوماسية المصرية من أجل تحقيق السلام فى الشرق الأوسط . وفى الوقت ذاته اقتناعها بضرورة اتخاذ مبادرات جديدة فى إطار مبادئ كامب دافيد لتحريك القضية إزاء جمود حكومة بيجين .

٣ - تأييد مصر بوضوح فى مطالبة إسرائيل وإلزامها بضرورة اتخاذ إجراءات بناء الثقة فى الضفة الغربية وغزة .

وقد سبق لمصر التقدم بمذكرة لوزير خارجية الولايات المتحدة تطالب فيها بضرورة قيام الحكومة الإسرائيلية باتخاذ إجراءات بناء الثقة مع الفلسطينيين فى أكتوبر عام ١٩٧٨ خلال مباحثات بلير هاوس . ثم عادت ومالئيت بها مرة ثانية خلال المباحثات الأخيرة فى أكتوبر الماضى .

٤ - توقيع حزب العمل الإسرائيلى على هذا البيان معناه أنه تبنى هذا المبدأ وانضم إلى الأحزاب الاشتراكية الأخرى فى مطالبة الحكومة الإسرائيلية بتنفيذه . ولاشك أن هذا الموقف الإيجابى يؤثر على الحكومة الحالية . وأية حكومة إسرائيلية قادمة . خاصة إذا كانت حكومة حزب العمل الإسرائيلى

ولاشك أن التعاون الحزبى الجديد بين الحزب الوطنى الديموقراطى وحزب العمل الإسرائيلى قد فتح آفاقا جديدة لإعطاء قوة دفع جديدة للقضية السلام وللمساهمة فى تطبيع العلاقات ليس فقط بين الشعبين المصرى والإسرائيلى بل - وهو المهم - بين الشعبين الفلسطينى والإسرائيلى .

□ تأتى الآن إلى سؤال كان يجب أن يتقدم الأسئلة السابقة زمنيا . ولكننا تعودنا فى الصحافة أن نقدم الخبر والمعلومة الجديدة أولا . ثم نعود إلى

د. مصطفى خليل

شيمون بيريز

كان لقاؤهما فى ندوة «أكتوبر» لقراء الشرق الأوسط الاشتراكية

فيلى برانت

قاد مؤتمر مدريد إلى تأييد مصر

برونو كرايسكى

كان له دائما دور إيجابى

حلقة الخير . ما هى قصة هذا البيان ؟ . وكيف صدر ؟

– لعلكم تذكرون البيان الصادر فى ٨ نوفمبر الجارى عن اجتماع قادة الحزب الوطنى الديمقراطى برئاسة الدكتور مصطفى خليل . وقادة حزب العمل الإسرائيلى بقيادة شيمون بيريز فى ندوة «مجلة أكتوبر» . وفى مقر الحزب الوطنى .

وقد التقينا – فى هذا الاجتماع – على العمل على أن تتبنى الاشتراكية الدولية جهود السلام المصرية – الإسرائيلية . وأن تشارك – بما لها من تأثير – فى دفع عملية السلام باتخاذ مواقف إيجابية ومبادرات فعالة فى هذا السبيل

وفى مدريد عقدت سلسلة اجتماعات مع فيلى برانت رئيس الدولية الاشتراكية . وبرونو كرايسكى . وشيمون بيريز نائبى الرئيس . واتفقنا على صياغة القرار الذى صدر وتبنته الدولية الاشتراكية فى قراراتها النهائية

□ □ □

□ ننتقل الآن إلى نظرة الدولية الاشتراكية بالنسبة لما يجرى على مسرح السياسة الدولية . مثلا . أين تقف الدولية الاشتراكية من الاحتلال السوفيتى للأراضى الأفغانية ؟

– أدانت الدولية الاشتراكية فى قراراتها النهائية عدم استجابة السوفييت للنداءات المتعددة والمتكررة بانسحاب قوات الاحتلال من أفغانستان . وطالبت بضرورة احترام استقلال أفغانستان وعدم انحيازها . وإعادة تأكيدها ليبان قادة الدولية الاشتراكية فى فينا الذى طالب بانسحاب القوات السوفييتية . وأعلن تأييده للشعب الأفغانى فى نضاله ضد الاحتلال .

□ هل وصل دخان بارود الحرب العراقية – الإيرانية إلى قاعة المؤتمر ؟

– وشممنا رائحة بارودة البشعة . وقد اهتم المؤتمر بهذه الحرب اهتماما كبيرا جدا . واعتبرها تهديدا للسلام والاستقرار فى المنطقة . وخطرا على السلام العالمى . ووجه نداء إلى الأطراف بضرورة وقف العمليات الحربية والاشتراك فى كافة جهود الوساطة .

كما وجه المؤتمر نداء خاصا للأطراف بقبول مبادرة أولاف بالم . نائب رئيس الدولية الاشتراكية ورئيس الحزب الديمقراطى الاشتراكى السويدى . للتوسط بين الأطراف نيابة عن الأمم المتحدة . والاستجابة لجهوده وإعطائها فرصة النجاح

وطالب المؤتمر القوى الكبرى ودول المنطقة بعدم التدخل فى الحرب القائمة بين العراق وإيران . حتى يمكن لجهود الأمم المتحدة أن تؤتى ثمارها .

□ وماذا عن قضايا الحرية والديمقراطية فى أمريكا اللاتينية . وفى بولندا ؟

– اهتم المؤتمر بقضايا أمريكا اللاتينية وخاصة قضية الديمقراطية هناك اهتماما كبيرا وأفرد لها عدة قرارات فى تقريره النهائى

وهنا يجب أن نلاحظ ما أعرب عنه المؤتمر من قلق إزاء تصريحات الإدارة الأمريكية القادمة خلال الحملة الانتخابية . من تأييد الأنظمة الديكتاتورية فى أمريكا اللاتينية . ولاشك أن هذا الموقف ينسجم مع مبادىء الدولية الاشتراكية التى تقف كنظام وسطى بين اليمين واليسار المتطرفين

كما يجب أن نشير أيضا إلى اهتمام المؤتمر بالأزمة فى بولندا . وتأييده لمطالب العمال البولنديين . ووقوفه بجانبهم .

□ □ □

□ نعود الآن إلى مصر . فى المجال الدولى أيضا . لقد ذهبنا إلى مدريد لحضور مؤتمر الدولية الاشتراكية . واستطعنا أن نكسب منه ورقة فى لعبة السياسة الدولية . فلماذا لم ينضم الحزب الوطنى الديمقراطى مثلا إلى هذه المجموعة بصفة رسمية ؟

– لقد حضر ممثلو الحزب الوطنى الديمقراطى هذا المؤتمر بوصفهم مراقبين وشاركوا فى جلساته وفى نشاطاته . كما أنشأوا علاقات وروابط قوية مع باقى أعضاء الدولية الاشتراكية تمهيدا للانضمام إلى الحركة . وفى الوقت المناسب سوف نطالب بالانضمام إلى الدولية الاشتراكية .

□ هل يمكن أن تنضم أحزاب مصرية أخرى إلى الدولية الاشتراكية ؟ . وهل تعتقد أن هذا سيحدث ؟

– فى اعتقادى أن حزب العمل الاشتراكى يفكر فى الانضمام . وعندما فحص ترحيب بالانضمام أكثر من حزب اشتراكى مصرى إلى الدولية الاشتراكية . إن ذلك سيؤكد للعالم الخارجى عمق التجربة الديمقراطية فى مصر . القائمة على تعدد الأحزاب . وقد لاحظنا من خلال حضورنا المؤتمر أن معظم الأحزاب تجهل ذلك . ومازالت تعتقد أن مصر تتبع نظام الحزب الواحد . فى حين أن تعدد الأحزاب هو أحد مبادىء الديمقراطية فى مصر كما جاء فى تعديل الدستور الأخير . وهناك أمثلة كثيرة لانضمام أكثر من حزب من بلد واحد إلى الدولية الاشتراكية . فهناك حزبان من إيطاليا وحزبان من اليابان وأيضا من أسبانيا . حتى من الولايات المتحدة الأمريكية هناك حزبان اشتراكيان منضمان .

□ ولكن . ماذا يفيدنا أن ننضم إلى مثل هذه التجمعات الدولية التى تقوم على هيئات شعبية (أحزاب) وليس على حكومات ووفود رسمية ؟

– فى النظم الديمقراطية يقولون إن الرأى العام هو صانع القرار الحقيقى . وفى السياسة الدولية أيضا هو كذلك . على أقل تقدير هو مؤثر قوى على صانعى القرار فى العواصم المختلفة . فالسياسة الخارجية لأية دولة تبدأ بقرار داخلى يتأثر حتما بالرأى العام – على الأقل فى النظم الديمقراطية – ثم يبدأ تنفيذه فى العلاقات الخارجية

ولقد كانت مشكلة مصر والعرب دائما هى غيابنا عن الرأى العام فى مسرح الأحداث العالمية . تلك مثلا كانت مشكلتنا مع الرأى العام الأمريكى أمام . اللوبى الصهيونى . هناك . حتى استطاع الرئيس السادات شخصيا – وبالتالى مصر باعتباره ممثلا لها – أن يصل إلى الرأى العام الأمريكى . عندما خاطبه بلغة حضارية يفهمها ويعشق السلام المقبول فى العالم كله .

ولكن . مازالت اتصالات مصر الدولية مقصورة على الاتصالات بين الحكومات . سواء على مستوى القمة فى إطار لقاءات الرئيس السادات بزعماء العالم المختلفين . أو فى إطار الاتصالات الحكومية التى تقوم بها الدبلوماسية المصرية . فى حين أن هناك اتجاها جديدا فى الساحة الدولية قائما على الاتصالات غير الحكومية بين الأحزاب والنقابات . وبين الجامعات والمعاهد والجمعيات العلمية وغيرها . ومن خلال هذه الاتصالات غير الحكومية وغير الرسمية تستطيع الدولة تحقيق أهداف دبلوماسية واقتصادية وثقافية ليس فى إمكانها تحقيقها عن طريق الاتصالات الحكومية فقط .

وعن طريق انضمام الحزب الوطنى الديمقراطى وغيره إلى الدولية الاشتراكية . يمكن الوصول إلى قطاع كبير من الرأى العام . فى مختلف دول العالم . يؤثر على صانعى القرار فى العواصم المختلفة .

□ وما هى الخطوة القادمة لنا ؟

قال صاحبنا وهو ينهض عن مكتبه :

– أن نفترق على وعد بلقاء قريب

دون غياب هذه المرة !

□